الثورة الخميس 26 ذو الحجة 1431 هـ الموافق 2 ديسمبر 2010م العدد «16822»

ملحمة السبعين يوماً في الذكرى الـ

مواقع الدفاع عن صنعاء

«الجزء الثاني».. المواقع الدفاعية خارج العاصمة.

محسن خصروف khosroof@yahoo.com

إضاءة:

لا أحد يتصور حجم الضغط الذي كان يمكن أن تواجهه العاصمة صنعاء لو أن أظهر القوى الملكية التي كانت تحاصر صنعاء كانت آمنة من كل الاتجاهات، من حجة إلى مشارف العاصمة غربا، ومن مارب إلى جبل الطويل شرقا، ومن آنس وعنس والحدا إلى حزيز و دار الحيد جنوبا، ومن صعدة إلى الأزرقين شمالا. كيف كان سيكون وضع العاصمة و القوات المدافعة عنها لولا أنه كان هناك بؤر جمهورية قوية خلف خطوط العدو؟، و لولا أنه كانت هناك جهود وأدوار بطولية مكثفة معززة لصمود العاصمة في كل محافظات الجمهورية؟ لولا أنه كانت هناك الحديدة وتعز وإب والبيضاء، وحجة الأسطورة؟ لولا أنه كان هناك استبسال جمهوري في محافظة البيضاء و رداع؟ وفي مناطق: معبر، الحيمة، بني مطر، ثلا، كوكبان، شبام، حرف سفيان، حوث، ريدة وعمران؟.

لقد أدت تلك البؤر الثورية دورا غاية في الأهمية والتعقيد، أسهم بشكل مباشر في تعزيز صمود القوات المدافعة عن العاصمة. وللقارئ والباحث أن يتخيّل لو أن القوات الملكية في منطقتي آنس وعنس وقيفة قد تمكنت من السيطرة على المنطقة، بما فيها قاع جهران، والتقت بمثيلتها في بلاد الروس و سنحان التي كان مقاتلوها يسيطرون على نقيل يسلح؟ أو أن الأخيرين قد تمكنوا من الالتقاء بأمثالهم من قبيلتي آنس وعنس عن طريق الوصول إلى قاع جهران، والسيطرة على مدينة ذمار وما جاروها؟ والتحموا بالملكيين من قبيلة قيفة الذين هاجموا مدينة رداع و بذلوا جهودا كبيرة من أجل السيطرة عليها، ووصلوا إلى أطرافها واحتلوا بعض الجبال المطلة عليها، لولاً أن تصدت لهم قوات الثورة في لواء البيضاء من الجيشين الرسمي والشعبي، بقيادة العقيد حسين شرف الكبسي والمشايخ الجمهوريين في المنطقة، بما فيها قيفة، وأخرجوهم بالقوة منها، ورتبوا المواقع الكفيلة بالدفاع عنها؟ ثم انتقلت تلك القوة الثورية لتلتقي بحملتين جاءتا من لوائي تعز و إب لتحمي تلك القوى مجتمعة طريق صنعا–تعز، وتحاول فتحها إلى العاصمة من نقيل يسلح، والمحافظة على المنطقة، كما سنوضح في موضع آخر من هذه الدراسة. وللقارئ والباحث أن يتصور، أيضا، لو أن القوى الملكية مجتمعة من عنس وآنس و قيفة وبلاد الروس وسنحان و القوات الآتية من الامتداد الجغرافي المتصل من جحانة وحتى الجوف وصولا إلى نجران، كانت تعمل بحرية دون عائق وبسند قوي من قاعدة الانطلاق؟ لاشك أن القوات المدافعة عن صنعاء من داخلها كانت ستكون في وضع أصعب، وأن ثمن النصر سيكون مضاعفا عشرات المرات، بدون ذلك السند القوي المتمثل في تلك البؤر الثورية، وذلك المدد الدائم بالرجال والمؤن من محافظات الحديدة وتعز و إب والبيضاء و رداع والمناطق الأخرى.

وكذلك الحال بالنسبة لمناطق ثلا وعمران وحرف سفيان وبني مطر و الحيمة الخارجية، حيث أن صمود تلك البؤر الثورية وتصديها للقوات الملكية المهاجمة من الاتجاهات الغربية والشمالية التي كان هدفها إسقاط العاصمة، والعمليات القتالية التي كانت تخوضها ضد أعداء الثورة بصورة يومية منذ بداية الهجوم المعادي و حتى النصر المبين في السادس من فبراير١٩٦٧م ، قد أرغم الأعداء على أن يشتتوا قواتهم في تلك المناطق بدلا من تركيزها على العاصمة. ولئن كانت حملات معبر الثلاث قد فشلت في السيطرة على نقيل يسلح، فإنها قد أنجزت مهمة أكبر من ذلك، حيث نجح أولئك القادة وضباطهم وجنودهم من الجيشين الرسمي والشعبي في الاحتفاظ بتلك المنطقة الاستراتيجية المهمة، وحرموا القوات المعادية للثورة من تحقيق أهم أهدافها، وأضعفوا قوة الهجوم الملكي، وأرغموهم على أن يتحول إلى الحالة الدفاعية التي لا تطمح إلى أكثر من ذلك، كما سيتبين تاليا:

مدخل:

مع مغيب شمس يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان من عام ١٣٨٧هـ الموافق الـ٢٨ من نوفمبر عام ١٩٦٧م، قبل ثلاثة وأربعين عاما، أكتمل طوق الحصار على صنعاء بإتمام انسحاب وحدات: المدرعات، الصاعقة، المظلات، لواء النصر من المواقع التي كانت ترابط فيها في منطقتي بني مطر و الحيمتين وطريق الحديدة – صنعاء، واحتلال قوات الملكية لمنطقة متنة فور مغادرة آخر دبابة للمنطقة قبيل مغرب ذلك اليوم، بعد أن كانوا قد أحكموا السيطرة على جبل «رِهْقة» المسيطر على كل قاع سهمان وما حوله من كل الاتجاهات، وجبل «عيبان» المسيطر على العاصمة من جهتها الغربية، وعلى جبلي عصر و الصباحة والمساجد

النقيب «ملازم حينذاك» علي يحيى العاضي أحد فرسان المدرعات في معركة بيت حصبة

الشيخ المناضل حمود محمد الصبري عاد إلى منطقته من صنعاء عبر الحديدة التي وصلها جوا، بعد قطع طريق صنعاء-الحيمة.

المناضل الشهيد النقيب عبد الرقيب عبد الوهاب، قائد سلاح الصاعقة، قاد الهجوم على قرية بيت حصبة.

المناضل النقيب أحمد محمد ريحان، قائد المدرعات في معركة بيت حصبة.

و الجعادب.

وقد تم ذلك الانسحاب التكتيكي المنظم في اليوم التالي لمعركة قرية بيت حصبة التي أعلن أهلها تمردهم على الثورة، وانضمامهم إلى معسكر أعدائها بوضوح، و بدأوا يطلقون النار على السيارات التي تمر من تحت قريتهم في طريق صنعاء–الحديدة، ويهاجمون ما أمكنهم منها، فلم يكن أمام قوات الثورة التي كانت تتمركز في مقهاية شغدر وفرعان والمنار من وحدات الصاعقة بقيادة النقيب عبد الرقيب عبد الوهاب، والمظلات بقيادة النقيب حمود ناجي سعيد، والمدرعات بقيادة النقيب أحمد ريحان، والجيش الشعبي وبعض من العسكريين الذين كانوا في المنطقة، ومنهم المساعد(عميد متقاعد حاليا) صالح محمد العبادي، بقيادة الشيخ أحمد علي المطري، سوى أن توكل إلى مجموعة مشتركة منها بأن تقوم بشن هجوم قوي على مقاتلي القرية الذين قاوموا بشراسة قوة الهجوم، وواجهوا قصف الدبابات والمدافع، ثم اشتبكوا مع المهاجمين الذين كان على رأسهم، حسب مشاهدتي الشخصية، المقاتل الباسل النقيب عبد الرقيب عبد الوهاب قائد سلاح الصاعقة، وكاد أن يستشهد في تلك المعركة العنيفة لولا أنه قد كان بارعا في الحركة والاقتحام لأحد المنازل التي كان يتمركز فيه بعض من مقاتلي القرية والسيطرة عليه، مع إتاحة الفرصة للمقاتلين الآخرين بأن يخرجوا من منازلهم، بالتغاضي عن ذلك، أي دون أن يتعرضوا للقتل.

ولم تتمكن قوة الهجوم من السيطرة على القرية إلا بعد معركة بطولية دامت أكثر من ثلاث ساعات، من الساعة الثانية والنصف عصرا وحتى الساعة السادسة مساء، أي بعد غروب شمس ذلك اليوم، خاضها مقاتلو الثورة، معززين بقصف بعض من سرية الدبابات بقيادة قائدها الملازم أول أحمد محمد ريحان، ومعه كل من:

١–الملازم علي يحيى العاضي.

٢– الملازم يحيى ناصر الظرافي

٣–المساعد محمد القماري.

الذين تميزوا بروح قتالية عالية، ولا أزال أتذكر النقيب ريحان وهو يشارك بنفسه في القيادة والقصف وهو قائد السرية، ثم وهو يتحرك بين الدبابات الثلاث ليتناقش مع زملائه حول سير المعركة، وأتذكر كلاً من الملازمين علي يحيى العاضي ويحيى الظرافي رحمهما الله، وهما يرتديان الـ «هِلْمِدْ» ويقود كل منهما دبابته بنفسه ويحركها إلى المكان المناسب من الخط الرئيسي، ثم يقوم بالضرب على مصادر النيران، وكذلك المساعد القماري الذي تميز بالمهارة العالية في التنشين وتدمير الأهداف المعادية، ونشاطه المستمر حتى نهاية تلك المعركة التي لا تنسى.

وكان الشيخ حمود محمد الصبري قد ذهب إلى صنعاء في صباح ذلك اليوم الخميس ٢٨نوفمبر في مهمة تتعلق بتدعيم الموقف في المنطقة بعد الانسحاب المزمع لقوات الصاعقة والمظلات والمدرعات منها، على أمل العودة إلى مقر قيادته في المساء، لكن الطريق قطعت آخر نهار ذلك اليوم، ولم يعلم الشيخ حمود بذلك إلا وهو في طريقه إلى مقر قيادته في مقهاية شغدر، فعاد من الطريق إلى صنعاء، وقام في اليوم لتالي بإرسال رسول خاص من قبله إلى الشيخ أحمد علي المطري هو الرقيب أحمد مُحَمّد الخيشني وحمله رسالة خاصة إليه تتعلق بالموقف، ويبلغه بأنه سيعود إلى منطقة الحيمة عبر الحديدة التي سيصلها بالطائرة، فيما سيقوم سائقه الخاص، ابن اخيه، الشهيد محمد أحمد الصبري بإيصال سيارته عبر محافظة تعز، وذلك بمساعدة بعض أصدقائه من المشايخ في قبيلتي سنحان وبلاد الروس أبرزهم الشيخ أحمد القفري، الذي كان يتمركز بعدد من أصحابه في رأس نقيل يسلح من جهته الغربية.

وقد واجه أحمد مُحمد الخيشني–كما قال لي في مقابلة معه في ٢٠٠٩/٤/١١م– بعض الصعوبات في طريقه، لكنه تغلب عليها بالحيلة، حيث كان يختلق الأعذار في المناطق الملكية التي كان يمر منها، وكان يقول لكل من يسأله في بعض القرى عن وجهته بأنه يحمل رسالة إلى القائد الملكي اللواء مُحمد عبد الله شرده، وفي البعض الآخر بأنه يريد الذهاب إلى الأمير أحمد بن الحسين في جبل النبي شعيب، حتى تمكن من الوصول إلى الشيخ أحمد علي المطري الذي تلقى الرسالة باهتمام ثم راح يشرف بشكل مباشر على مواقع الحيمة الخارجية حتى عاد الشيخ حمود إليها فتولى قيادتها بنفسه حتى النصر.

لقد كان ذلك اليوم هو البداية الحقيقية لاختبار قدرات القوى الثورية الجمهورية على الصمود، والجملة الايجابية على السؤال المطروح يومها:

هل يستطيع الجمهوريون الدفاع عن ثورتهم ونظامهم بعد مغادرة قوات الجمهورية العربية المتحدة لليمن؟

إن مغيب شمس ذلك اليوم كان لحظة إشراق الإرادة الوطنية الخالصة التي تصلّب عودها على مدى سنوات الدفاع عن الثورة، فتمكنت بجدارة من سحق جحافل العدوان الذي كانت تمتد جذوره إلى خارج حدود اليمن، وصنعت نصر السادس من فبراير ١٩٦٨م

إيضاح لابد منه:

قبل الولوج في الحديث عن المواقع الدفاعية عن العاصمة من خارجها، أود أن أشير إلى بعض ملاحظات تتعلق بالجزء الأول من هذه الدراسة الخاصة بمواقع الطوق المنشور في صحيفة الثورة الغراء، أهمها:

١– أنني لم أسئ إلى أي مقاتل، قائداً كان أم فرداً عادياً، أو أية وحدة من الوحدات المقاتلة.

٢– إن المقاتل الملازم علي عبد الله صالح» رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة حاليا» لم يكن ضمن قوة المدرعات التي كانت في الحيمة، وتم سحبها من مواقعها إلى العاصمة قبيل الحصار، وأنه قد تمركز هناك، ضمن قوة مدرعة، بعد الحصار، أي عند صد المحاولة الثانية لقطع طريق صنعاء– الحديدة، وشارك في فتحها وتأمينها مع زملائه من ضباط المدرعات ووحدات أخرى في بداية النصف الثاني من